

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بحث بعنوان:

(مظاهر التفكير اللغوي في ابتكار المصطلحات لدى الأطفال)

مؤتمر

"الطفل العربي أدبه ولغته"

إعداد:

د. منير تيسير الشطناوي

و

د. عمر راشد

الجامعة الهاشمية

كلية الآداب- قسم اللغة العربية

٢٠٠٦م

"مظاهر التفكير اللغوي في ابتكار المصطلحات عند الأطفال"

د. منير شطناوي و د. عمر راشد

الجامعة الهاشمية/ قسم اللغة العربية

## مقدمة:

الحمد لله المنان، والصلاة والسلام الأتمان، على محمد وآله، وصحبه وأزواجه، وأتباعه وأوليائه وأطفاله.

يقول الله تعالى: " وعلم آدم أسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم."

لعل قصة أبينا آدم عليه السلام هي قصة البشرية جمعاء، ومن خيوط هذه القصة علاقة الإنسان بالحياة والمسميات، ويبدو في ظلال هذه الآية الكريمة أنّ تعليم آدم الأسماء كلها كان بإيجاد القدرة فيه وتمكينه من تسمية كل ما يحتاج إلى تسمية، وكذلك الحال في ذريته، فما من شيء في الوجود إلا وله اسم يعرف به، وهذه القدرة على التسمية مستمرة؛ لأنها حاجة من حاجات الحياة لا تستقيم الحياة دونها.

إنّ ول مشاهد حاجات التسمية التي تطالع الإنسان تبدأ في مرحلة الطفولة، إذ تمرّ بالطفل مفاهيم كثيرة، ومسميات متعددة، يقف الطفل منها وقفة المتسائل الذي يبحث عن اسم يسم به هذا المفهوم أو ذلك.

فالطفل باحث متميز، فهو لا ينفك يكتشف ما حوله، ولا يتردد عن السؤال عن كل ما يسترعي انتباهه، فهو وإن كان قادراً على تسمية ما يُسمّى أمامه؛ بما يسمعه ويتعلمه بطريقة غير مباشرة من أبويه والمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، إلا أنه بفعل البحث والاستكشاف الطفولي، قد يصل إلى مفاهيم لم يقع عليها من قبل، فماذا بوسعه أن يفعل؟ وكيف سيتصرف؟ وهل لديه القدرة على تسميتها؟ وهو إن فعل، فعلامَ اعتمده؟ وكيف تمكّن؟ وهل للعمر والجنس والبيئة المحيطة أثر في ذلك؟ ثم هل ثمة مظاهر تفكيرية خاصة في حياة الطفل عند ابتكاره مصطلح مفهوم جديد؟ ...

وقبل الشروع في بيان خطوات الدراسة ووسائل التجربة، كان من الأهمية بمكان الوقوف على حقيقة التفكير وعلاقته باللغة، لا سيما أنّ هذه العلاقة تبدأ مع الإنسان منذ مراحل طفولته الأولى.

## اللغة والتفكير:

انعقد الإجماع عند علماء اللغة المحدثين أن الإنسان يولد وهو مزود بآليات اكتساب اللغة، فأبي طفل قادر على تعلم أية لغة إن هو عاش في الوسط الاجتماعي الذي ينطق هذه اللغة. ولكن ما هي اللغة؟ "فاللغة مع وضوح أمرها وجريانها على كل لسان، وجد الدارسون في تعريفها تعريفاً دقيقاً بعض المشقة والعنت، وانقسموا بهذا الصدد إلى فرق وطوائف..."<sup>(١)</sup> وما علاقتها بالتفكير؟ وهل التفكير من اللغة أم اللغة من التفكير؟

يرى بعض الباحثين أن اللغة البشرية نظام بالغ التعقيد، ومعرفتها أمر ينم عن إنجاز ذهني عجيب لمخلوق لم يخلق خصيصاً لإنجاز هذا الأمر<sup>(٢)</sup>.

لقد استأثر البحث في مفهوم اللغة أولاً، وعلاقتها بالتفكير ثانياً، اهتمام الباحثين في علم اللغة في العصر الحديث، ولسنا هنا في صدد استعراض وجهات نظر علماء اللغة في المفاهيم التي اقترحوها للغة<sup>(٣)</sup>. بل ما يهمنا هو معرفة صلة هذه الظاهرة الإنسانية بتفكير الإنسان منذ مراحل طفولته.

وإذا كان بعض الباحثين يتساءل: "هل صحيح أن اللغة مجموعة أصوات للتعبير عن الفكر... ألا نكون قد حققنا الفكر باعتبارنا كل ثرثرة تعبيراً عن الفكر؟"<sup>(٤)</sup> فإن الباحثين يريان أن ثمة خطأ وقع في هذا التساؤل، وهو خلط بين التفكير والفكر، إذ ينحو بلفظة الفكر إلى النتاج الإنساني السامي من الإبداع والقدرة التعبيرية. ولكن اللغة وإن كانت مسرحاً للتعبير عن هذا

---

(١) اللغة بين القومية والعالمية، ص ١١. وانظر: نحو عربية ميسرة، أنيس فريجة، ص ٣٢. وانظر اللغة والطفل، حلمي خليل، ص ٤٣ وذهب (جفري سامبسون) إلى أنه "ليس من الملائم أن نفسر كلمة (اللغة) على أنها وسيلة مفيدة للدلالة على شتى مميزات الحياة الفكرية الذاتية المحضنة لأمة من الأمم.. لأن وضع اللغة كمادة للدراسة، العلمية ما زال مشكلة. انظر: مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفري سامبسون، ترجمة محمد زياد، كبة، ص ٥.

(٢) محاضرات وذن، تأملات في اللغة، تقديم تشومسكي، ترجمة مرتضى باقر، ص ١٥.  
(٣) وربما كان أكثر الباحثين تفصيلاً لوجهات النظر المختلفة في فهم اللغة (جون ليونز) في كتابه "اللغة وعلم اللغة" فقد قدم وناقش ونقد خمسة آراء من تعريفات اللغة، وانتهى إلى القول بالنظام اللغوي الذي يقارب وجهة نظر (سوسير) في فهم اللغة انظر: اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ترجمة مصطفى التونسي، ١٩٨٧ ص ص ٤-١٤

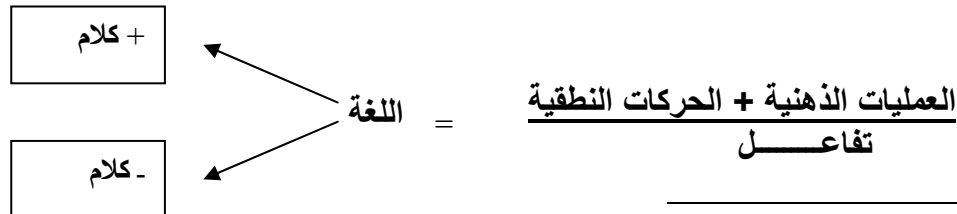
(٤) نحو عربية ميسرة، أنيس فريجة، ص ٣٤.

أيضاً، فإنها ليست حكراً عليه. أما الإجابة عن التساؤل السابق، فالجواب: نعم، إذا عرفنا أن المقصود بالفكر ما يفكر به الإنسان، أو بمعنى آخر التفكير الذي يميز الإنسان كما تميزه اللغة، فاللغة ليست محصورة على الفكر، وإنما تشمل التفكير كذلك، فكل فكر هو في الحقيقة تفكير (وليس كل تفكير فكراً)، وما اللغة كما مر بنا إلا نتاج للتفاعل بين العمليات الفكرية (الذهنية) والحركات الصوتية. والقدرة التي حظي بها الإنسان على إجراء التفاعل المنظم والمضبوط بين عملياته الذهنية وحركاته النطقية، لينتج اللغة التي يعرف بها وترتقي هذه القدرة لتصبح ملكة لديه.<sup>(١)</sup>

إنَّ ما يميز الإنسان منذ طفولته هو مقدرته على إجراء التفاعل بين العمليات لذهنية والحركات النطقية وليس كيفية هذا التفاعل. فالمقدرة على إجرائه سمة عامة، أما كيفية إجرائه فلكل طريقته التي تقوم على منظومة من القيم النفسية والاجتماعية والفكرية.<sup>(٢)</sup>

ولنا أن نتساءل: أي جانب أدائي في الإنسان لا يكون منبثقاً عن نظام ذهني تحكمه بنية تفكيرية خاصة؟ إن النظام الذهني المختزن في عقل الجماعة، لا يمكن عزله أو فصله عن جملة البنية الذهنية التي تميز الإنسان من غيره.

ويبدو أنَّ ارتباط الجانب الذهني (التفكير) بالجانب الأدائي (سواء أكان لغة أم كلاماً)، إنما هو في حقيقته مركب من غير عنصر، وتتم اللغة بمعادلة تفاعلية، يمكن رسمها على النحو الآتي :-



(١) تحدث ابن خلدون (٨٠٨هـ) عن هذه الملكة اللغوية يقول "اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، ناشئة عن القصد لإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، هو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم". انظر: مقدمة ابن خلدون، ج ٣، ص ١٢٦٤. وانظر المصدر نفسه ج ٣/ص ١٢٧٨

(٢) يقول (بول فابر) "ولا يمكن الفصل بين الإفهام والأصوات التي تنقلها، فلا يكون الدال من دون المدلول ولا المدلول من دون الدال، وإنهما متماسكان كوجهي قطعة قماش، لا يمكن إحداث ثقب في وجه دون الآخر". انظر: مدخل إلى الأسنوية، تأليف بول فابر، كريستان، بايولن، ترجمة طلال وهبة، ص ١٢، وانظر ص ٥٩.

وعليه فإنَّ اللغة بهذا الطرح هي نتاج التفاعل بين العمليات الذهنية (التفكير) والحركات النطقية، وهذه المعادلة تفضي إلى عدم عدِّ اللغة نشاطاً أدائياً وتطبيقاً عملياً.<sup>(١)</sup>

فاللغة وإن كانت الأصوات هي الوحدات الدنيا فيها ، فإن هذه الوحدات بما يكتنفها من تعبير هي عملية تفاعل بين العمليات الذهنية والحركات النطقية، علماً أن أحد هذين الطرفين قد يحدث دون أن يُحدث اللغة<sup>(٢)</sup>.

### منهجية الدراسة:

بدأت فكرة هذا البحث من تجربة خاصة عايشها الباحثان وهما يلحظان سلوك الأطفال مع المفاهيم المستجدة، فلاحظا أنَّ الأطفال وهم يشقون طريقهم في الحياة يقعون على أشياء لم يروها من قبل، فيسارعون للسؤال عنها، وكان السؤال الدائم: ما اسم هذا الشيء؟ أو يطلقون اسماً لا يسعنا إلا أن نستلمحه ونقول أحياناً: والله إنها تسمية أجمل من التي نعرفها!

ليس القصد في هذه الدراسة البحث عن تعلم الطفل اللغة، فتلك قصة أخرى. ولكن انصرف الجهد إلى اختيار جانب من لغة الطفل، ذي صلة بمصطلحات الطفولة، وتحديداً في كيفية ابتكار المصطلح عند الأطفال، والوسائل المعينة على ذلك، والعوامل المؤثرة فيه.

وبعد أن استقرت فكرة البحث أثر الباحثان نقل هذه الفكرة من سياق المصادفة إلى سياق الدراسة العلمية المنهجية، فجمعا مجموعة من المفاهيم في حقيبة صغيرة، وتوخيا أن تكون هذه المفاهيم من خارج عالم الطفولة، إذ غلب الظنُّ على أن الطفل لم ير شيئاً منها من قبل، ثم حدد الباحثان مجتمع الدراسة فكانا يحددان عمر الطفل وجنسه وبيئته التي يعيش فيها، ثم يعرضان

---

(١) يقول أحد علماء اللغة الغربيين، ويدعى (Whitney): "لا يشكل الصوت المنطوق وحده المادة الأولية في اللغة، وتمثل المادة الأولية في اللغة في الصوت المنطوق الذي يحمل معنى، وكذلك نظام الأصوات ذي المحتوى الفكري، انظر: علم اللغة في القرن العشرين، جورج مونان، ترجمة نجيب غزاوي، ص ١٩.

(٢) عرض حلمي خليل في كتابه، (اللغة والطفل)، ص ٤٨، مفهوم ابن جني و سوسير وتشومسكي للغة دون أن يناقش تلك المفاهيم والتعريفات، وارتضى - كما يبدو - تعريف أحد المحدثين للغة وهو تعريف الأستاذ خلف الله في كتابه: (الطفل من المهد إلى الرشد)، ومفاده: "أنها نظام اصطلاحي مؤلف من رموز تعبيرية وظيفتها النفسانية أن تكون آلة للتحليل والتركيب التصوريين، ووظيفتها العملية أن تكون أداة للتخاطب بين الأفراد" وهذا التعريف لا يضيف شيئاً إذا عرضناه على تعريف ابن جني للغة بعد إدراك قيم تعريف ابن جني وأبعاده.

على الطفل بعد محادثة تصادقية ما في جعبتهما وينثران بين يديه كنانتهما، ثم بطريقة غير مباشرة يسألانه عن اسم هذا الشيء الذي يراه، أو يقومان بتشغيل بعض هذه المفاهيم ليرى الطفل عملها وأثرها ثم يسألانه عنها، وأحياناً كانا يطلبان منه أن يناولهما مفهوماً يسميانه له دون أن يشير إليه، ليريا ما المفهوم الذي سيختاره من إحياء التسمية التي سمعها؟

وبعد جمع ما توصلنا إليه من إجابات ناقشنا في هذا البحث الموضوعات الآتية:

### \*مظاهر التفكير اللغوي في ابتكار المصطلح.

### \*العوامل المؤثرة والوسائل المعينة في مظاهر التفكير اللغوي لدى الأطفال.

وخلص الباحثان إلى جملة من النتائج والتوصيات، كان من أهمها استخلاص الإمكانيات والوسائل التفكيرية التي يستعين بها الطفل في ابتكار مصطلح لمفهوم جديد نحو: التقريب الشكلي أو لمح الصفة أو لمح الصوت، أو مقايضة المعروف، أو التعليق، أو الابتداع العشوائي، أو الاستدلال الإيقاعي...

وكذلك بيان كيفية مساعدة الطفل على ابتكار المصطلح القريب والمناسب من خلال دراسة المفهوم وتأمله وتخطيط ملامح التفكير اللغوي لديه بطريقة سليمة.

### خطوات الدراسة ووسائل التجربة:

اختار الباحثان جملة من المفاهيم من خارج عالم الطفولة، إذ غلب الظنّ فيها أنّ الطفل لم يتعرف عليها من قبل، وهذه المفاهيم هي:

- ١-قرص مرن ٢-بطارية ٣-مكبس ٤- نظارة ٥-ساعة منبه ٦-مسبحة ٧-ميزان حرارة ٨-
- ٩-فرشاة أحذية ١٠-قدّاحة ١١-سجادة الصلاة ١٢-الغيم ١٣-قصاصة أظافر ١٥-مفك
- ١٦-لمبة ١٧-طلاء الأظافر ١٨-ملقط فحم ١٩-ملقط غسيل ٢٠-مبرد

ثم تمّ عرض هذه المفاهيم العشرين على مجموعة (عينة) من الأطفال عددهم خمسون طفلاً من كلا الجنسين، تتراوح أعمارهم ما بين أربعة إلى خمسة أعوام، بحيث يُسأل الطفل الواحد عن مفهوم واحد من المفاهيم التي اختيرت في هذه الدراسة، وذلك للاستفادة من أكبر قدر

في التعرف على البيئات اللغوية التي تمثل عينة الدراسة، علماً أن الباحثين انتقلا إلى مناطق مختلفة في المدينة والريف والبادية وهما يلتقيان مع مجتمع الدراسة. وفي الوقت نفسه يجيب طفلان على الأقل من الجنسين على المفهوم الواحد، وكانت النتائج على النحو الآتي:

المفهوم	المصطلح المبتكر	جنس الطفل	عمر الطفل
القرص المرن	المربع	ذكر	٤ سنوات
	للكمبيوتر	أنثى	٥ سنوات
بطارية	دواء	ذكر	٤ سنوات
	علبة	أنثى	٥ سنوات
	راديو	ذكر	٤ سنوات
مكبس	شيء يأكل	ذكر	٤ سنوات
	مقص كبير	أنثى	٥ سنوات
نظارة	عيون	ذكر	٤ سنوات
	عيون	أنثى	٤ سنوات
ساعة منبه	تك تك	ذكر	٤ سنوات
	تك تك	ذكر	٥ سنوات
	نص	أنثى	٥ سنوات
	تلفون	أنثى	٤ سنوات
	إشارة يدوية بالاستدارة المستمرة ثم قالت: تاع المروحة	أنثى	٤ سنوات
مسبحة	سنسال	ذكر	٥ سنوات
	طوق	أنثى	٤ سنوات
	للجدة	ذكر	٤ سنوات



ميزان حرارة	مسطرة مصاصة	ذكر أنثى	٥ سنوات ٤ سنوات
منقب	مكبس خزاقة	ذكر أنثى	٥ سنوات ٥ سنوات
فرشاة أحذية	مكوى كناسة مشط	أنثى أنثى ذكر	٥ سنوات ٥ سنوات ٥ سنوات
قداحة	نار (واوة) نار أف نا	ذكر ذكر أنثى ذكر	٤ سنوات ٥ سنوات ٤ سنوات ٤ سنوات
سجادة الصلاة	الله أكبر صلاة	ذكر أنثى	٤ سنوات ٤ سنوات
الغيم	قطن كبير حرام	ذكر أنثى	٤ سنوات ٥ سنوات
قصاصة أظافر	دق دق كباسة	أنثى ذكر	٤ سنوات ٤ سنوات
فرجار	مثل الذي تأخذه أختي معها للمدرسة قلم	أنثى ذكر	٥ سنوات ٤ سنوات
لمبة	بوطة ضوء	ذكر أنثى	٤ سنوات ٥ سنوات

الرحى	كيسة / من حجر، أو من حديد	ذكر	٥ سنوات
	تاع القمح أو العدس	أنثى	٤ سنوات
	يو يو كبير	أنثى	٤ سنوات
ملقط فحم	تاع الجمر	ذكر	٥ سنوات
	طوالة	ذكر	٥ سنوات
	تاع الأكل	أنثى	٥ سنوات
	سيشي !!!	ذكر	٤ سنوات
ملقط غسيل	تاع الغسيل	أنثى	٥ سنوات
	تاع الأوعي	ذكر	٥ سنوات
مبرد أظافر	الذي نعمل به هكذا (أشار إلى عمله)	ذكر	٥ سنوات
	تاع الأيدي	أنثى	٥ سنوات
	تات	أنثى	٤ سنوات

### أولاً، مظاهر التفكير اللغوي في ابتكار المصطلح:

عند استعراض إجابات الأطفال السابقة في ابتكار مصطلحات المفاهيم آفة الذكر، يلحظ المتأمل مجموعة من مظاهر التفكير اللغوي التي استخدمها الأطفال في التوصل إلى هذه المصطلحات، ويمكن تصور هذه المظاهر على النحو الآتي:

١- **التقريب الشكلي**، ويعد التقريب الشكلي عتبة من عتبات باب القياس، فالطفل قبل أن يجري القياس يحقق ما سميَّناه بالتقريب وهذا التقريب قد يكون في الشكل، وقد ينحو منحىً آخر. ومثاله في المصطلحات السابقة ما نجده في المصطلح الأول: (القرص المرن) إذ سمَّاه أحد الأطفال بالمربع، وهو بذلك يراعي شكلاً يعرفه، ولكنه لا يقصد أن يقول إنَّ هذا المفهوم هو المربع، بل صارت كلمة مربع عنده ذات بعدين، بعد لغوي يتمثل في معنى المربع في اللغة، وبعد اصطلحي يتمثل في تخصيص هذه اللفظة لهذا المفهوم (القرص المرن).

وليس من نافلة القول أنّ بين اللفظتين مقارنة ومقايسة، فقد تمت المقاربة أولاً ثمّ أفضت هذه المقاربة إلى تحقيق المقايسة. وما هذا التقريب الشكلي إلا نمط من أنماط التفكير اللغوي، وهو ليس مقصوداً على الأطفال، بل يمكن القول إنّ هذا النمط هو أحد مظاهر التفكير في اللغة. ويبدو هذا المظهر في مصطلحات أخرى رصدتها هذه الدراسة يمكن جدولتها على النحو الآتي:

المفهوم	المصطلح	التقريب الشكلي
القرص المرن	المربع	الربط المنطقي بين المفهوم والشكل الهندسي المربع
بطارية	علبة	الربط المنطقي بين المفهوم والحجم
=	دواء	الربط المنطقي بين المفهوم و الشكل الأسطواني
مسبحة	سنسال	الربط المنطقي بين المفهوم وشكل النظم بين المكونات
=	طوق	الربط المنطقي بين المفهوم وشكل النظم الدائري
ميزان حرارة	مسطرة	الربط المنطقي بين المفهوم والشكل الطولي المستدق المدرّج
=	مصاصة	الربط المنطقي بين المفهوم والشكل الطولي المستدق
الغيم	قطن كبير	الربط المنطقي بين المفهوم والشكل المنفوش + اللون
=	حرام	الربط المنطقي بين المفهوم وشكل الانتشار والامتداد
لمبة	بوطة	الربط المنطقي بين المفهوم وشكله + الحجم
الرحى	كبيكة	الربط المنطقي بين المفهوم وشكل التركيب الأسطواني

## ٢-لمح الصفة أو الصوت:

من مظاهر التفكير اللغوي عند الأطفال في ابتكار المصطلحات ما يلجأ إليه الطفل أحياناً من لمح صفة المفهوم أو صوته أو حركته، ليصل بهذا الملح إلى التسمية الاصطلاحية. ويبدو مثل هذا المظهر في مفهوم قصاصة الأظافر، حيث لجأ بعض الأطفال إلى تسميتها دق، نظراً إلى الصوت المسموع منها عند استعمالها.

وكذلك الحال في ساعة المنبّه التي سمّاها بعضهم (تك تك) أو تلفون نظراً إلى صوت الجرس المسموع من كليهما. أو إشارة إلى الحركة الدائرية التي تتحركها عقارب الساعة... ومن هذا القبيل أيضاً لمح الألوان كما ذهب الطفل الذي أطلق على الغيم قطن أبيض.

### ٣- النسبة أو التعليق:

وتعد النسبة من أبرز مظاهر التفكير اللغوي عند الأطفال في ابتكار المصطلحات، ونقصد بالنسبة تعليق المفهوم باستخدامه أو أداة استخدامه. وهذا المظهر التفكيري من المظاهر الصحيحة التي يقرها علم المصطلح الحديث، فإذا أردنا أن نميز ملقط، قلنا ملقط فحم أو ملقط غسيل... ونقول: مقص، ومقص شجر، ومقص حديد...

ومثل هذا التعليق حاصل في التفكير اللغوي عند الأطفال ولكن بصورة مبسّطة، فهم إن لم يدركوا المصطلح المتداول لمفهوم ما، قالوه منسوباً إلى سياق استخدامه أو إلى مستخدمه، ومثال ذلك في إجابة الطفل الذي أطلق على السبحة أنها خاصة للجدة، أو من أطلق على مبرد الأظافر أنه خاص بالأيدي، أو ملقط الغسيل أنه خاص بالملابس، أو القرص المرن أنه للكمبيوتر، ... أو النظارة بأنها عيون.

### ٤- الاستدلال الاعتبائي:

يبدو هذا المظهر مستهجناً إلى حدّ ما في مظاهر التفكير اللغوي، بيد أن المحصول في تتبع مظاهر التفكير اللغوي عند الأطفال في ابتكار المصطلحات أنّ الطفل إذا لم يقدر على تقريب أو مقايسة المفهوم، ولم يقدر على لمح الصفة فيه، وكذلك إذا كان غير قادر على نسبته أو تعليقه، لجأ إلى ما سمّيناه الاستدلال العشوائي، ونقصد به: أن يبتكر الطفل مصطلحاً من لدنه غير قائم على أي استدلال منطقي بين المفهوم والمصطلح.

ولذلك كان هذا المظهر آخر ما يلجأ إليه الطفل في ابتكار المصطلح. ومثاله ما أطلقه أحد الأطفال على ملقط الفحم لما قال: سيثي، وما قاله أحد الأطفال عن مبرد الأظافر بأنه تات. والرحى يويو! والسؤال المطروح لماذا يلجأ الأطفال إلى مثل هذا النمط من التفكير اللغوي؟ يبدو أن المسألة تترد إلى قناعة لغوية مفادها أن الطفل غير قادر على أن يتصور مفهوماً ما من غير أن يكون له اسم في الوجود. فهو يعتقد أنه ما من شيء إلا وله تسمية، فإن نجح بالتوصل إليها من خلال سماعها من الوسط الاجتماعي، أو سؤاله عنها... كان له امتلاك هذه التسمية، ولكنه إن لم يصل إليها ولم يسمعها من قبل، فإنه لا يكاد يتصور أنها من غير اسم، لأنه اعتاد في لغته على أن لكل مفهوم اسمه، ولذلك إذا أراد الطفل أن يتفصح وألا يشعر بعجزه علماً أنه قد يفعل نحو هذا أحياناً، فإنه يطلق اسماً اعتباطاً، يراه أو يخطر في باله من غير توجيه منطقي في صياغة المصطلح.

وليست العشوائية والاعتباطية في اللغة إلا جزءاً من المنهج، فقد انعقد الإجماع عند علماء اللغة أن العلاقة بين الدال (اللفظة اللغوية) والمدلول (المفهوم) اعتباطية، فليس ثمة علاقة بين القاف واللام والميم والمفهوم الذي نعرفه في الحياة..

### \*العوامل المؤثرة في مظاهر التفكير اللغوي لدى الأطفال.

نلاحظ في ابتكار مصطلحات المفاهيم السابقة القائمة على التقريب الشكلي أن ثمة عوامل مؤثرة في تمكين الأطفال من ابتكار هذه المصطلحات، يمكن تصورها على النحو الآتي:

#### ١- البيئة الاجتماعية:

ويتمثل أثر البيئة الاجتماعية في مساعدة الأطفال على ابتكار المصطلحات في اختيار المصطلح، فالأطفال الذين سئلوا عن الرحي من البيئة الحضرية أجابوا بأنها كيككة من حديد أو حجر، أما الأطفال الذين سئلوا عنها من بيئة الريف ولم يسبق لهم تمثيل اسمها بعد، فقالوا إنها خاصة بالقمح والعدس.

كما يتضح أثر البيئة في ابتكار المصطلح لدى الأطفال عند الأطفال الذين سئلوا عن ملقط الفحم من بيئة المدينة، فقد يبدو غريباً إجابة بعضهم أنه خاص للأكل، ولكننا إذا عرفنا أن نظير هذا المفهوم مستخدم في بيئتهم لتناول الحلوى والكعك بدا لنا وجه ما ذهبوا إليه. أما الأطفال من بيئة البادية والريف فقد اقتربوا من إدراكه لما قالوا إنه خاص بالجمر.

ومن هنا يتضح أثر البيئة في تشكيل الخيال، وهذا ليس حكراً على لغة الأطفال، بل ينزع كل امرئ إلى تشكيل صورته ومفاهيمه من مادة البيئة التي يعيش فيها. والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

## ٢-الجنس:

إذا تأملنا جدول المصطلحات والمفاهيم السابق، وجدنا حرص الباحثين على إثبات جنس الطفل إزاء كل مفهوم ومصطلح، وعند التأمل فيما ذهب إليه الأطفال في المصطلحات المبتكرة وجدنا أثر الجنس في ابتكار المصطلح ماثلاً بشكل واضح، فعند سؤال الطفلة عن المكبس قالت إنه مقص، وأجاب الطفل بأنه شيء يأكل. ولعل في مجالسة الطفلة لأمها التي تمتن الخياطة كما هي العادة الاجتماعية في البيت، فقد قرّبت المفهوم إلى المقص الذي تراه وتعرفه بيد والدتها، ولكن ذلك لم يسترع نظر الطفل الذي تختلف اهتماماته البيئية. وكذلك الحال عند السؤال عن فرشاة الأحذية حيث أجابت الطفلة الأولى بأنها مكواة، وأجابت الطفلة الثانية بأنها كئاسة، في حين أجاب الطفل بأنها مشط. ومثله أيضاً في إجابة الطفلة عن ملقط الغسيل بأنه خاص بالغسيل، في حين كانت إجابة الطفل بأنه خاص بالملابس.

## ٣-العمر:

يبدو أن عمر الطفل ذو أثر فعّال في القدرة على ابتكار المصطلح الأكثر دقة أو الأقرب إلى الصواب، وهذا ليس غريباً إذا عرفنا أن الأطفال الأكبر سناً هم أكثر تعرفاً على المفاهيم، كما أن معجمهم اللغوي أكثر سعة. فعند سؤال الطفل ذي الخمس سنوات عن اللبنة قال إنها ضوء، في حين قال الطفل ذي السنوات الأربعة إنه قطعة من البوظة. وكذلك الحال في ميزان

الحرارة حيث قال الطفل ذو السنوات الخمسة بأنه مسطرة، في حين أجاب الطفل ذو الأربع سنوات بأنه مصاصة.

#### ٤- التجربة الشخصية:

لا يمكن إنكار التجربة الذاتية عند الأطفال في القدرة على ابتكار المصطلح أو تقريبه إلى المصطلح المناسب، فالأطفال الذين يعانون من مرض ما وتكثر زيارتهم للطبيب كانوا أقدر من غيرهم على معرفة أو القرب من معرفة ميزان الحرارة، أو سماعه الطبيب،... كما بدأ أثر ذلك واضحاً عندما سئلوا عن البطارية حيث أجاب هؤلاء بأنها دواء،... وكذلك الحال عند الذين سئلوا عن القرص المرن، حيث أجاب بعضهم أنه خاص بالكمبيوتر، في حين أجاب آخرون بأنه مربع.

#### المصادر والمراجع:

١. علم اللغة في القرن العشرين، جورج مونان، ترجمة نجيب غزاوي، الجمهورية العربية السورية، وزارة والتعليم العالي،
٢. اللغة بين القومية والعالمية، إبراهيم أنيس دار المعارف بمصر/ بلا
٣. اللغة والطفل في ضوء علم اللغة النفسي، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية/١٩٨٧
٤. اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ترجمة مصطفى التوني، دار النهضة العربية ، القاهرة، ط١/١٩٨٧
٥. محاضرات ودين، تأملات في اللغة، تقديم تشومسكي، ترجمة مرتضى ، جواد باقر وعبد الجبار محمد علي، مراجعة عبد الباقي الصافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ط١ /١٩٩٢،
٦. مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفري سامبسون، ترجمة محمد زياد، كبة، ، جامعة الملك سعود، الرياض/ ١٤١٧هـ،
٧. مدخل إلى الألسنية، تأليف بول فابر، كريستان، بايولن، ترجمة طلال وهبة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢
٨. مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٣،
٩. نحو عربية ميسرة، أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٥